المبحث الثانى

تصحيح أوضاع وتشريع

أراد الله تعالى الخير للناس جميعا ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، وخلق لهم من أنفسهم أزواجا ليسكنوا اليها فى مودة ورحمة ، وأوصى كلا من الطرفين بالآخر ، بل وأوصى الانسان بنفسه ، لكن تدخل الانسان فى الأمور بصورة غير التى خلقها الله عليها يفسد الأمور ، ويحول مجرياتها عن مسارها الطبيعى ، فتتعكر الأمور وتضيع ، أو تركد وتفسد ...

ومع أن الله تعالى يرسل بين كل فترة من الزمن وأخرى رسولا يصحح للناس مسار الحياة الفكرية والانسانية ، الا أن الناس بطبعهم ينفرون ممن يدعوهم الى الهدى ، ويرتمون بين أحضان من يغويهم ...

والمرأة ، وان كانت شريكة الرجل فى ذلك كله ، الا أن نصيبها كان فى تلك الفترة المظلمة نصيبا لا تحسد عليه ، فقد عوملت على أساس أنها متاع ، ينزل به الرجل كل ما ينغص حياته ، وكأنها هى سبب الشقاء ومبعث الآلام ....

وفيما سبق عرض لبعض ما كان من نصيب المرأة عبر تلك القرون التى تصل بنا الى نهاية القرن السادس الميلادى ، هذه النهاية التى كانت فعلا نهاية لما عانته المرأة من قسوة الوضعيين ، وعسف الماديين ، وجور الملحدين ، ونهم المتنطعين باسم الدين ...

وكان مطلع القرن السابع الميلادى بداية لمطلع نور العدل والاصلاح لقد بعث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمين قريش ، وفتاها الصالح

مع مطلع القرن السابع وفى بدايته .... وقد كانت بعثته الشريفة مطلعا لنور صبح انتظرته البشرية طويلا ، أنهكها الليل الدامس الثقيل قبل مطلع هذا النور ... وكأنى بالبشرية تهتف من أعماقها :

ألا أيهـا الليـل الطويل الا انجلى
بصـبح وما الاصـباح منك بأمثل

وجاء نور الاسلام يزيح أمامه دياجير الفكر المظلم ، وينتشـل الغرقى من لجة الحياة الجاهلية الهائجة المدلهمة ..

جاء يقول لأولئك الذين امتهنوا المرأة وعسفوا بها وأضاعوهـا ، ووأدوها : « يا أيها النـاس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا .. » (١) .

ثم يقول القرآن الكريم أيضا فى معرض حديثه عن نعم الله وآياته العظيمة الواضحة الجلية : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسـكنوا اليهـا وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيـات لقوم يتفكرون ... » (٢) .

---

(١) الآية الأولى من سورة النساء .

(٢) الآية ٢١ من سورة الروم . « خلق لكم من أنفسكم أزواجا » أى من جنسكم . ولو أنه تعالى جعل بنى آدم كلهـم ذكورا ، وجعـل اناثهم من جنس آخر من غيرهـم من الجن أو الحيـوان أو غير ذلك لما كانت الالفة بين الزوجين ، فمن تمام رحمته تعالى على الرجال ان جعـل أزواجهم من جنسهم .. وخلقهن من انفسهم وجعل بينهم المودة والرحمة

ويقول الله تعالى مبينا للناس أنهم جميعا رجالهم ونساءهم من نفس واحدة ، وأن العلاقة بين الرجل والمرأة طبقا لتعاليم السماء يجب أن تكون علاقة مودة بكل ما تحمل الكلمة .. « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها .. »(١) .

ويشير القرآن الكريم الى جانب من نعم الله تعالى التى ينعم بها على الزوجين اللذين ارتضيا طريق المودة والرحمة ، وحكما شرع الله وارتضياه وأقاما علاقتهما طبقا لتعاليمه .. « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون »(٢) .

وجاء رسول الاسلام الذى بعثه ربه بالهدى والرحمة ، والنور والانصاف ليعيد الأمور الى نصابها الصحيح،والانسانية الى ما يرتضيه ربها وما فيه نفعها ، وصلاح أمرها ، واستقامة حياتها ، وانقاذ ماء وجهها ..... جاء سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — ليبلغ الناس عن ربهم ما أنزل من الوحى الربانى ، ومنه ما قاله — صلى الله عليه وسلم — لبنى البشر جميعا : «انما النساء شقائق الرجال»(٣) ولما كن كذلك فانه يجب لهن مثل ما يجب عليهن ، وذلك انطلاقا من قول الله تعالى :

= والمحبة والالفة ليعمر الكون على أساس من التآلف والتراحم ...
يراجع ابن كثير ج ٣ ص ٤٣٠ .

(١) الآية ١٨٩ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ٧٢ من سورة النحل .

(٣) رواه أبو داود والترمذى واحمد وغيرهم .

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ... »(١) « فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا »(٢) .

ويورد القرآن الركيم التسوية والانصاف فيؤكد أن مناط التسوية ينبعث من نفس الخلقة فهما من نفس واحدة ، واذا كان هناك ثمة مجال يمكن أن يكون مناط تقديم أحد على أحد فهو مناط العمل وحده والعمل الصالح بعينه ، وهذا ما حدثنا به القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ولقد جاء حديث القرآن مطمئنا الجميع أن رب الناس لا يضيع عمل أحد من الناس ، ومن هنا كانت اجابة الله تعالى لكل من دعاه من الآدميين رجالا ونساءا .. « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد»(٣) كانت الاجابة السماوية والاخبار الربانى والبشرى للجميع « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيآتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب »(٤) .

والمدقق فى أسلوب القرآن الكريم هنا يرى مدى الابداع فى أسلوبه المفهم للتسوية بين بنى البشر فى استجابة ربهم لهم وسماعه خطابهم واثابته اياهم على أعمالهم فالآية تتحدث وتخبر باستجابة الخالق للمخلوقين تخبر عن ذلك موردة ضمير الجمع للغائب « لهم ربهم » ثم تورد بعده ضمير الجمع للمخاطب ، « منكم » ثم تفصل المخاطبين حتى لا يقول قائل انها تخاطب الرجال وحدهم أو تخاطب النساء دون الرجال فتبين الآية الكريمة المخاطبين بأنهم الرجال والنساء جميعا « من ذكر أو

---

(١) الآية ٢٢٨ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٣٤ من سورة النساء .
(٣) الآية ١٩٤ من سورة آل عمران .
(٤) الآية ١٩٥ من سورة آل عمران .

أنثى بعضكم من بعض » وما أجمل هذه العبارة التى وكأنها جاءت لتؤكد التسوية بين المتماثلين نظرا لأنهما عملا عملا متماثلا وهما قبل ذلك بعضهم من بعض ...

ان العاملين مجتمعين هما مناط التسوية لا غير ... فمادام الرجل والمرأة قد عملا عملا واحدا فان الله تعالى يثيبهما ثوابا عميما جزيلا،فهما خلقه وقد أطاعاه ... فمن هاجر من النساء وقاتل فله مثل من هاجر من الرجال وقاتل ... ويؤكد هذا ما روى عن السيدة أم سلمة أم المؤمنين من أنها قالت : يا رسول الله لا نسمع ذكر النساء فى الهجـرة بشىء : فأنزل الله تعالى : « فاستجاب لهم ربهم ... »(١) .

ولقد أورد القرآن الكريم هذه التسـوية فى الجزاء بين الطـائفين العاملين من الرجال والنساء فى مواضع كثيرة ، لينبه أولئك الذين فرقوا بين الجنسين من غير دليل أو سـند من شرع أو دين ، فيذكر القرآن الكريم للناس جميعا ما يصحح الفكر ويرسى قواعد العدل ، فيقول تعالى « من عمل صالحـا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيـاة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »(٢) .

ويقول تعالى : « ومن عمل صـالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب »(٣) .

---

(١) رواه الحاكم فى مستدركه من حديث سفيان بن عينبه ويراجع تفسير بن كثير جـ ١ ص ٤٤٢ .
(٢) الآية ٩٧ من سورة النحل .
(٣) الأية ٤٠ من سورة غافر .

كل هذا التصحيح للفكر البشرى جاء به القرآن الكريم مخاطبا به الناس جميعا بكل أجناسهم وألوانهم وألسنتهم ، الأحمر والأسود ، والأبيض والأصفر والعربى والأعجمى ، الناس جميعا • من هنا كان قول القرآن فى خطابه « يا أيها الناس » ليعم الخطاب كل الناس •••

يخاطب أولئك الذين يعتبرون المرأة من سقط المتاع ، وأولئك الذين يجتمعون بعد وفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — عام ٥٨٦ ميلادية ليقرروا بعد جدال وخلاف وأخذ ورد،أن المرأة انسان • وهذا كسب عظيم للمرأة أن يقر أولئك أنها انسان وكانوا يعتبرونها مخلوقا نجسا(١) ومع ذلك لم يستطيعوا التخلص من عقدتهم فقالوا عنها أنها انسان خلق لخدمة الرجل • هذا ما تمخض عنه اجتماع أوربى عام ٥٨٦ ميلادية فى فرنسا للبحث عن حقيقة المرأة ••••

كما يخاطب القرآن الكريم أيضا — بما جاء به من انصاف وتصحيح — أولئك الذين كانوا اذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم •• أولئك الذين كانوا يئدون المولودة من غير ذنب ولا جريرة الا لكونها ولدت أنثى ولم تكن ذكرا ••• بل ويخبر القرآن الكريم أولئك أن هذه الموءودة ستسأل يوم القيامة وستشهد على أولئك الذين وأدوها ودفنوها فى التراب حية من غير جريرة ارتكبتها الضعيفة فيقول القرآن

---

(١) لقد اجتمع مجمع ماكون فى القرن السادس الميلادى للبحث عن حقيقة المرأة ، والنظر فى كونها مجرد جسم لاروح فيه ، أم هى جسم وروح ؟ وبعد مناقشات وجدال تمخض المؤتمر عن تقرير أن المرأة خلو من الروح الناجية من عذاب جهنم ، ماعدا أم المسيح — عليه السلام — وقد سبق بيان جانب من ذلك كله •••

الكريم مخبرا عما كان من شأن أولئك ، فى أسلوب يعيب عليهم ما كان منهم يومئذ جعلوا لله تعالى ما لا يرضونه لأنفسهم فجعلوا له البنات ولأنفسهم البنين • وعاب القرآن ذلك كله عليهم فقال تعالى « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى» الى أن يختم الله تعالى مقولته بالفصل فيها ووصفها بما تستحق « ••• ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (١) •

وفى موضع آخر يقول الله تعالى : « الا أنهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين » (٢) •

ثم يذكر القرآن الكريم ما كان من أولئك حين يبشر أحدهم بأن زوجه قد ولدت أنثى فيقول تعالى : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم

---

(١) الآيات ١٩ ــ ٢٣ من سورة النجم •

كانت اللات صخرة بيضاء عليها نقوش ولها أستار وكان أهل الطائف يعظمونها • وكانت العزى شجرة وعليها بناء وأستار وكانت تقع بين مكة والطائف وكانت قريش تعظمها •

وكانت مناة فى مكان بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والاوس والخزرج يعظمونها فى الجاهلية ويهلون للحج للكعبة من عندها •

ولقد عاب القرآن الكريم على هؤلاء جميعا ما كان منهم من تعظيم هذه الاوثان وغيرها ، وكذا قسمتهم بينهم وبين الله ــ تعالى الله عن هذه القسمة لهم الابناء الذكور ولغيرهم البنات فكان ذلك سفها وجورا وقسمه باطلة ، فما بالهم وقد فعلوا ذلك وقسموا بينهم وبين الله ــ تعالى عن ذلك

يراجع ابن كثير جـ ٤ ص ٢٥٤ وما بعدها •

(٢) الآيات ١٥١ ــ ١٥٧ من سورة الصافات •

ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل جهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » (١) •

وقال تعالى : « وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم »(٢) •

يذكر القرآن الكريم ذلك كله ثم يصحح لأولئك فكرهم ويحذرهم من مغبة فكرهم وسوء عاقبة أعمالهم يوم تسأل الموءودة عن أى ذنب قتلت ؟ وفى ذلك من التهديد ما فيه ليرتدع أولئك ، خوفهم بذكره ما سيكون يوم القيامة حين يبعث الله المظلوم والظالم ، ويشهد المظلوم على الظالم ، وينتقم له منه ، ولا منجاة من عقاب الظالم على ما قدم واقترف فى يوم عظيم وموقف تكور له الشمس وتنكدر له النجوم ، وتسير له الجبال ••• وتحشر الوحوش وتسجر له البحار ••• عند ذلك كله وأكثر منه تسأل الموءودة••• « اذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت••• »(٣) •

ويخبر الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن الموءددة فى الجنة وأن الوائد فى النار ، الموءودة فى الجنة مع النبيين والشهداء وحسن أولئك رفيقا • والوائد فى النار ، والنار فيها ما فيها — أعاذنا الله منها •

يجيب الرسول — صلى الله عليه وسلم — يا رسول الله من فى الجنة ؟ يقول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « النبى فى الجنة ،

---

(١) الآيات ٥٧ — ٥٩ من سورة النحل •
(٢) الآيات ١٥ — ١٧ من سورة الزخرف •
(٣) الآيات ٨ — ٩ من سورة التكوير •

والشهيد فى الجنة ، والمولود فى الجنة ، والموءودة فى الجنة » « الوائدة فى النار الا أن يدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها » واذ الاسلام يجب ما قبله .

وقد جاء قيس بن عاصم الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : يا رسول الله انى وأدت بناتا لى فى الجاهلية ، قال النبى : «اعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال : يا رسول الله انى صاحب ابل . قال النبى : « فانحر عن كل واحدة منهن بدنة »(١) تكفيرا عن الفعل وتوبة من الذنب العظيم .

ويسد الاسلام كل منافذ الايذاء بالأنثى ، ويفتح لهـا كل الأبواب التى تستنشق منها عبير الحرية والمساواة والانسانية ...

فيحرم قتلها خوف الفاقة أو غيرها « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا » (٢) .

ولم يتوقف النهى عن قتلهن عند خشية الاملاق فقط .... وانما يأتى النهى أيضا عن قتلهن حتى ولو كان الأمر أشد ، والاملاق قد وقع وأغرق الفقر الأسرة ، فالقرآن يشير الى الابقاء على المولودة فعسى أن

---

(١) وفى رواية اخـرى أن النبى ــ صلى الله عليه وسـلم ــ قال لقيس بن عاصم : « اعتق عددهن نسما » فاعتق عددهن نسما ، فلمـا كان العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يارسول الله هذه صدقة قومى على اثر ماصـنعت بالمسلمين ، قال على بن أبى طالب : فكنـا نربحهـا ونسميها القيسية .

يراجع تفسير بن كثير جـ ٤ ص ٤٧٨ وما بعدها .

(٢) الآية ٣١ من سورة الاسراء .

تكون سبب انزال الرزق موسعا ، والبركة والخير ... فيقول تعالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ... » (١) .

ويجعل الاسلام الاحسان الى الوالدين والنهى عن قتل الأولاد يأتى فى المرتبة الثانية بعد الايمان بالله ، ويجعل العقوق بالوالدين وقتل الأبناء قرين الشرك بالله تعالى ـ أعاذنا الله تعالى من ذلك .

ويقرر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك ويبينه حين يسأل ، فقد روى ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ « سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى الذنب أعظم ؟ » قال : « أن تجعل لله ندا وقد خلقك » قيل ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك » قيل ثم أى ؟ قال : « أن تزانى حليلة جارك » (٢) .

بل ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يزيد الوصية بالأنثى ويبين جزاء الاحسان اليها والاهتمام بأمرها فيقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه أبو داود عن ابن عباس : « من كانت له أنثى فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عليها ، أدخله الله الجنة » انه لأجر عظيم لا يعرف كنهه الا من وقف على حقيقة ما فى الآخرة من أهوال .. .. وما لجهنم من وقع وشدة وشهيق وغيظ (٣) .

---

(١) الآية ١٥١ من سورة الانعام .

(٢) متفق عليه .

(٣) يقول تعالى فيما يحدث لمن كذب الساعة ولم يخش الله ولم يتق النار .. « بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا . اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا . واذا القوا منها مكانا

كما يقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما رواه البخارى أن السيدة عائشة ــ رضى الله تعالى عنها ــ قالت : « جاءتنى امرأة ومعها ابنتان تسألنى ، فلم تجد عندى غير تمرة واحدة ، أخذتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت ، فدخل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فحدثته بأمرها فقال : « من بلى من هذه البنات بشىء فأحسن اليهن • كن له سترا من النار » (١) •

=

ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا • قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا • لهم فيها مايشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا » الآيات ١٢ ــ ١٦ من سورة الفرقان كما يقول تعالى : « وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير • اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور • تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتيكم نذير » الى قوله تعالى : « ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير » •

الآيات ٦ــ ١٢ من سورة الملك •

(١) وقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم « من بلى » هذا من بلاغته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو من باب المشاكلة أى مشاكلة اللفظ لما فى أنفس أولئك الذين جاء الاسلام ليصلح من نفوسهم ، مثال ذلك ماجاء من قول الله تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » الآية٥٤ من آل عمران ••• أو من باب قوله تعالى : « ونبلوكم بالشر والخير فتنه والينا ترجعون » الآية ٣٥ من سورة الأنبياء •

وقوله تعالى : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم » الآية ٣١ من سورة محمد •

وفى رواية ابن ماجه : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال « ما من مسلم له بنتان فيحسن اليهما ما صحبتاه أو صحبها ، الا أدخلتاه الجنة » .

وفى رواية الترمزى ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال « من كان له ثلاث بنات ، أو ثلاث أخــوات ، أو بنتان ، أو أختــان فأحسن صحبتهن ، واتقى الله فيهن ، فله الجنة » .

وفى رواية أبى داود : « .. فأدبهن وأحسن اليهن وزوجهن ، فله الجنة » .

وفى صحيح الامام مسلم عن أنس بن مالك ــ رضى الله تعالى عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو ــ وضم أصابعه » .

وكانت مواقف عظيمة علم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الناس فيها ما للبنات من حقوق فى كل مناحى الحياة .

فهو الذى يمنع واحدا من صحابته أراد أن يوصى بكل ماله للمسلمين ... ولم تكن آيات المواريث قد نزلت ، وكان لهذا الصحابى بنات .

فقد أورد الامام البخارى أن صحابيا جاء يستأذن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أن يوصى بماله للمسلمين ، اذ لم يرزق بولد ذكر ، ولم تكن آيات المواريث قد نزلت ، فسأله الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هل لك بنات ؟ فقال : نعم فأبى عليه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يوصى بماله للمسلمين وله بنات ...

ما أعظم هذه التعاليم المستلهمة من عند الله ....

وها هو ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد جاءته امرأة سعد بن الربيع الأنصارى ــ رضى الله تعالى عنه ــ تقول له : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قتل معك يوم أحد ، وقد استفاد عمهما ما لهما وميراثهما كله ، فلم يدع لهما مالا الا أخذه ، فما ترى يا رسول الله ، فوالله لا تنكحان أبدا الا ولهما مال ؟ فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « يقضى الله فى أمرك » وأمهلها الى الغداة ، فنزلت آية المواريث ، فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ « ادع لى المرأة وصاحبها ، فلما جاءا ، قال لعم البنتين :اعطهما الثلثين،واعط أمهما الثمن ، وما بقى فهو لك »(١) .

وهكذا ينصف الاسلام المرأة وينقذها مما كانت قد أثقلها بها الطوفان ، وعادت من حديد لترسو على ظهر الأرض وقويت على تجاوزه

---

(١) رواه الامام مسلم فى صحيحه فى ميراث الكلالة ، نيل الاوطار جـ ٥ ص ٦٥ وكان العرب قبل الاسلام لايورثون النساء مطلقا ، وانما يقصرون الميرات بسبب النسب على الرجال القادرين على حمل السلاح والذود عن القبيلة . ولهم فى ذلك قول مأثور جاء فيه : لايعطى المال الا من قاتل على ظهور الخيل ، وطاعن بالرمح ، وضارب بالسيف وحاز الغنيمة .

جاء الاسلام يقرر الحقوق لاصحابها .. يعطى النساء ويعطى الرجال .. فيقول الله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » الآية ٧ من سورة النساء .

ويراجع دراسات فى أحكام التركات والمواريث للباحث ص ٢٢ وما بعدها ط ١٩٨٦ م .

بل وأكثر من ذلك فان الاسلام قد ملكها أمر نفسها (١) ، وجعل لها حق اختيار شريك حياتها ومؤنس أيامها ، وكانت قبل لا رأى لها ، تنتقل من بيت الى بيت من غير أن تستشار أو حتى تعلم من ستعاشره .

لقد ملكها الاسلام أمر نفسها ، قبل الزواج وبعده ...

فقد روت السيدة عائشة أم المؤمنين — رضى الله تعالى عنها — أن فتاة دخلت عليها فقالت — وهى بادية الانفعال والغضب — : ان أبى زوجنى ابن أخيه ، ليرفع به خسيسته وأنا كارهة ، فأجلستها السيدة عائشة حتى يأتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وجاء النبى — صلى الله عليه وسلم — وحدثته السيدة عائشة بأمر الفتاة فأرسل — صلى الله

---

(١) روى الائمة احمد والبخارى ومسلم وأصحاب السنن عن أبى هريرة — رضى الله تعالى عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « لاتنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن » قالوا : يارسول الله وكيف اذنها ؟ قال : « أن تسكت » .

وفيما رواه الجماعة الا البخارى عن ابن عباس قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها واذنها صمتها » .

وروى الجماعة الا مسلما عن خنساء بنت خدام الأنصارية أن أباها زوجها وهى بنت فكرهت ذلك ، فأتت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فرد نكاحها ، أى أبطله . ويكفى أن نذكر هنا ماجاء من قول الله تعالى : « .. فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف .. » الآية ٢٣٢ من البقرة . وقوله تعالى : « .. ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ... » الآية ١٩ من سورة النساء .

عليه وسلم ــ الى أبيها ، وسأله ماذا فعلت بابنتك من غير أن تسألها : ثم ملك الفتاة أمر نفسها ، ومكنها من أمرها ...

فما كان من الفتاة الا أن قالت : « قد أجزت ما صنع أبى ، ولكن أردت أن أعلم : أن للنساء من الأمر شيء ؟ »(١) .

ما أعظم ما جاء به الاسلام من حقوق تضمن حياة مستقرة بعيدة عن كل ما يغضب الله ، ويكره النساء .

وهذه امرأة أخرى تأتى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تحدثه فى أمر طلاقها لأنها رأت زوجها قد أقبل فى جماعة هو أقصرهم طولا وأقبحهم شكلا وهى تكره الكفر فى الاسلام ، تكره أن تنظر الى غيره ، لم يعنفها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم يردها ولم ينكر عليها وانما أرسل الى زوجها الذى علم بما كان فقال : يا رسول الله لقد أمهرتها حديقة .... فقال لها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أتردين عليه حديقته ؟ .. » قالت نعم وزيادة فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أما الزيادة فلا » فردت الحديقة وأمره النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بطلاقها ... (٢) .

انه أمر لم يكن للنساء من قبل ، بل ان غير المسلمين وتحت سقف

---

(١) رواه الأئمة احمد والنسائى وابن ماجه .

(٢) يراجع صحيح البخارى جـ ٩ ص ٣٣٩ ، سنن البيهقى جـ ٧ ص ٣١٣ المستدرك جـ ١ ص ٢١٠ ــ ٢١١ ، مسند الامام احمد جـ ٦ ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤ .

دعوى الدين ينكرون على المرأة طلب الطلاق ، ولا يقضون به لهـا ، ويرغمونها على الاقامة مع زوج لا تطيقه (١) ....

ولا يكتفى الاسلام بذلك بل ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأمر المسلمين بعدم الاضرار بالنساء فى الطلاق ... فعن نافع بن عبد الله بن عمر ــ رضى الله عنهما ــ انه طلق امرأته وهى حـائض ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن ذلك ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ، ثم تطهر ، ثم ان شاء أمسك بعد ، وان شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء »(٢) .

---

(١) ولا يخفى ما كان من شأن البابوية فى روما عام ١٩٦٧ م حين قدم طلب للبرلمان الايطالى يطالب بإباحة الطـلاق فما كان من البـابوية الايطـالية الا أن اعترضت على ذلك وقالت ان ذلك من حق الفاتيكـان وحده ...

وقدمت مذكرة ثانية مدعمة بالاحصائيـات التى تبين كـم الملايين الذين يعيش كل منهم مع امرأة غير زوجته ومع زوج غير زوجها واحصائيه بعدد المواليد غير الشرعيين الناتجين عن هذه العلاقات غير الشرعية .

وظل الأمر هكذا فى أخذ ورد وطلب واعتـراض كنسى حتى تمت الموافقة على اباحة الطلاق عام ١٩٧٠م بعـد أربعة عشر قرنا من اقـراء الاسلام له ولغيره من الحقوق ...

الأمر ليس بحاجة الى تعليق معلق ...

(٢) صحيح البخارى جـ ٩ ص ٢٨٥ ، صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٠ ص ٦ سنن النسائى جـ ٣ ص ١٣٨ .

كل ذلك يستهدف منه الاسلام عدم مضارة النساء ... اعمالا لقول الله تعالى « فطلقوهن لعدتهن »(١) .

كل ذلك والاسلام يحرص على الحياة الزوجية ويبين للناس أن أبغض الحلال الى الله الطلاق(٢) .

والاسلام حرصه على استمرار الحياة الزوجية وعدم المساس بها يحرص أيضا على أن تكون هذه الحياة قائمة على أساس من المودة والمحبة لا على الاكراه والجبر ... اذ الاكراه ينتج مالا يحمد عقباه ولا يرضاه الاسلام لبنيه ، ومن هنا كان حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع احدى المؤمنات حديثا هادئا يحثها على اعادة علاقتها الزوجية بمن طلقها وهو يحبها الحب كله ... وهى تقول رأيها حرة تناقش أشرف الخلق وتعلن رأيها وما تختار ...

كانت بريدة أمة عند السيدة عائشة أم المؤمنين ، وكما هو خلق السيدة عائشة أعتقت بريدة ، فلما غدت بريدة حرة ، اختارت نفسها ، وكانت زوجة لعبد يسمى مغيث ...وغدا مغيث يبكى حزنا على فراق بريدة وعلم النبى — صلى الله عله وسلم — بما كان من أمر مغيث ، وتعجب — صلى الله عليه وسلم — من شدة حب مغيث لبريدة ، ومن بغض بريدة مغيثا ، ثم قال — صلى الله عله وسلم — لبريدة : « لو راجعته » قالت : يا رسول الله أتأمرنى ؟ فقال : « انما أنا أشفع » قالت : فلا حاجة لى فيه ، الى هذا الحد احترم الاسلام حق المرأة فى

---

(١) الآية ١ من سورة الطلاق ، يراجع تفسير الطبرى جـ ٢٨ ص ٤٠٠ ، تفسير الكشاف جـ ٢ ص ٤٠٠ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ٩ ص ٣١٠ .

اختيار من تعاشر وتعايش وتقترن به ، حتى تبنى بيوت المسلمين على المودة والألفة ، والنقاء ومن هنا كان قول عمر بن الخطاب : اذا أرادت النساء الخلع فلا تكفروهن(١) .

وأكثر من هذا كله ما كان من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين خير زوجاته بين الفراق مع المتعة ، وبين البقاء معه مع قلة النفقة وكان كل ذلك بامر من الله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما »(٢) .

---

(١) يراجع سنن البيهقى جـ ٧ ص ٣١٣ وتراجع بداية المجتهد جـ ٢ ص ٤١ .

(٢) الآيتان ٢٨ ـ ٢٩ من سورة الاحزاب . يقول الامام احمد . حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمير حدثنا زكريا بن اسحاق عن أبى الزبير عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : أقبل أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يستأذن على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والناس ببابه جلوس . والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس ، فلم يؤذن له ، ثم أقبل عمر ـ رضى الله عنه ـ فاستأذن ، فلم يؤذن له ، ثم أذن لأبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ فدخلا ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس ، وحوله نساؤه ، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ ساكت ، فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : لأكلمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعله يضحك . فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : يارسول الله لو رأيت ابنة زيد ـ امرأة عمر ـ سألتنى النفقة آنفا ، فوجأت عنقها ، فضحك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى بدت نواجذه وقال : « هن حولى يسألننى النفقة »

=

وقد روى البخارى أن السيدة عائشة ـ رضى الله تعالى عنهـا أخبرت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه ، قالت فبدأ بى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « انى ذاكر لك أمرا ، فلا عليك أن لا تستعجلى حتى تستأمرى أبويك » وقد علم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه ، قالت : ثم قال : ان الله تعالى قال : « يا أيها النبى قل لأزواجك ... » الى تمام الآيتين فقلت له : ففى أى هذا استأمر أبوى ، فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم فعل أزواج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل ما فعلت السيدة عائشة ـ رضى الله تعالى عنهن أجمعين ـ

أى معاملة هذه التى أعطت للنساء ما شرع الله لهن دون نقصان وأزاحت عنهن ما ظللن يرزحن تحت نيره عهودا طويلة ... انها عدالة الاسلام وتشريعه ...

=

فقام أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ الى عائشة ليضربها ، وقام عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ الى حفصة ، كلاهما يقولان : تسألان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماليس عنده ، فنهاهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلن : والله لا نسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد هذا المجلس ماليس عنده . قال : وأنزل الله ـ عز وجل ـ الخيار ، فبدأ بعائشة ـ رضى الله عنها ... وقالت السيدة عائشة ـ رضى الله عنهـا ـ : أفيك أستأمر أبوى ؟ بل اختار الله ورسوله ، وأسألك أن لاتذكر لامـرأة من نسائك ما اختبرت ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ان الله تعالى لم يبعثنى معنفا ، ولكنى بعثنى معلما ، ميسرا ، لا تسألنى امرأة منهن عمـا اخترت الا اخبرتها » .

أخرجه الامام مسلم والامام النسائى .

يراجع تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٨٢ .

ويراجع أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٤٣٩ .